ISSUE 4 AUGUST 2025
مجلـــة آفاق للدراسات الإنسانية والتطبيقية
كلية الآداب والعلوم الإبيار - جامعة بنغازي
Afaq Journal for Human and Applied Studies
Faculty of Arts and Sciences ALAbyar University of Benghazi
العـــدد الرابع أغسطس 2025 E-ISSN 3007-4495 ISSN-L 3007-4495 Legal Deposit Number 313/2023 DOI https://doi.org/10.37376/ajhas.vi4

دورُقبائلِ بنى هلالٍ وبنى سليمٍ في ترسيخِ الثّقافةِ العربيّةِ بليبيا

د. السنوسي بوبكر أحمد عقيلة [1]

تاريخ الاستلام: 02/05/2025م | تاريخ القبول: 14/06/2025م | تاريخ النشر: 13/09/2025م | DOI: https://doi.org/10.37376/ajhas.vi4.xxx

الملخص:

يتمحور موضوع الدراسة حول دور القبائل العربية التي هاجرت الى ليبيا في ترسيخ الهوية العربية والثقافي الاسلامية والتي تمحورت من خلال إظهار مستوى اللغة العربية بنطق صحيح وهو ما أشاده به الكثير من الرحالة الذين مروا على ليبيا عامة وبرقة خاصة، كما ركز البحث على تأسيس العديد من المساجد والزوايا والرباطات التي أدت دوراً مهماً في النهوض باللغة العربية وذلك من خلال الاعتماد على العديد من المصادر المهمة المختلفة.

الكلمات المفتاحية: القبائل العربية- بنى هلال – بنى سليم- ليبيا – الثقافة العربية.

1.أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية بكلية التربية – جامعة سرت.

المؤلف الرئيسي: د.السنوسي عقيلة.

ISSUE 4 August 2025
مجلـــة آفاق للدراسات الإنسانية والتطبيقية
كلية الآداب والعلوم الإبيار - جامعة بنغازي
Afaq Journal for Human and Applied Studies
Faculty of Arts and Sciences ALAbyar University of Benghazi
العـــدد الرابع أغسطس 2025 E-ISSN 3007-4495 ISSN-L 3007-4495 Legal Deposit Number 313/2023 DOI https://doi.org/10.37376/ajhas.vi4

The role of the Bani Hilal and Bani Salim tribes in establishing Arab culture in Libya

* [1]Dr. Sanusi Boubaker Ahmed Aqila.

Abstract:

The study revolves around the role of the Arab tribes that migrated to Libya in establishing the Arab identity and Islamic culture, which was centered on showing the level of the Arabic language with correct pronunciation, which was praised by many travelers who passed through Libya in general and Barqa in particular. The research also focused on establishing many mosques, corners and ribats that played an important role in the advancement of the Arabic language by relying on many different important sources.

Keywords: Arab tribes - Bani Hilal - Bani Salim - Libya - Arab culture.

1.Assistant Professor, Department of Arabic Language, Faculty of Education, University of Sirte.
* corresponding author: **Dr. Sanusi Aqila.**

Copyright©C2024University of Benghazi.
This.open.Access.article.is Distributed under a CC BY-NC-ND 4.0 licens.

المقدمة:

شكلت هجرة العديد من القبائل العربية أهم الأحداث التي رسخت الثقافة العربية، وأثرت على ثقافة بلاد المغرب بصفة عامة وليبيا بصفة خاصة، فكان قدوم تلك القبائل إلى بلاد المغرب العربي أثرت على لغة التخاطب بين السكان، إذ اندمجت اللهجات المحلية مع لغة القادمين الجدد، التي تفرعت عنها أغلب اللهجات العربية المستعملة اليوم في إفريقية والمغرب. كما أنها أحدثت تغييراً حاسماً على التقاليد القديمة الراسخة في البلاد، وحولت الكثير منها إلى عادات عربية عدنانية منقولة من الحجاز ونجد وتهامة.

ولم يمض قرن ونصف قرن على الهجرات العربية ولاسيما الهجرة الهلالية وهجرة بني سليم حتى امتزجت تلك القبائل بالعناصر المحلية امتزاجاً متيناً بالمصاهرات، حيث نشأ جيل يتحدث لغة عربية فصحى لا شائبة بها.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الموضوع في إبراز دور القبائل العربية التي هاجرت إلى ليبيا في نشر اللغة العربية بين السكان المحليين، من خلال إقامتهم في ليبيا والتجانس مع سكانها الأصليين، بجانب جهودهم في تعريب المنطقة، وعليه كان من الواجب تسليط الضوء على دور تلك القبائل في تلك الحقبة من تاريخ البلاد.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة التعرف على جهود القبائل العربية التي استقرت في ليبيا في نشر الثقافة العربية والمحافظة على الموروث الثقافي، ومدى استجابة السكان الأصليين وتأثرهم بالثقافة العربية في ظل التسامح الديني والمعاملة الحسنة.

اشكالية الدراسة:

جاءت الدراسة تظهر دور القبائل العربية في نشر الثقافة العربية والمحافظة على نقل اللغة العربية إلى بلاد المغرب العربي ولاسيما ليبيا، وأن أغلب الدراسات لم تعطِ الموضوع دراسة متكاملة، وتحاول هذه الدراسة تكملة ما لم يتطرق إليه العديد ممن كتبوا في هذا الموضوع. ومن خلال ذلك هناك مجموعة من التساؤلات منها: ما بدايات دخول اللغة العربية لليبيا؟ وما دور الهجرات العربية في نشر اللغة العربية بليبيا ؟ وكيف تم تجانس السكان المحليين مع تلك القبائل ؟ وما أبرز أعلام النحويين في ليبيا خلال تلك الفترة ؟ وما مدى تأثر السكان المحليين في ليبيا من اللغة الوافدة إليهم؟

ولتوضيح الدارسة تم تقسيمها إلى عدة مباحث هي:

المبحث الأول – موقع ليبيا إبان مراحل هجرات القبائل العربية وبدايات هجرة تلك القبائل لليبيا:

المبحث الثاني- العلماء الذين أسهموا في النهوض باللغة العربية في ليبيا:

المبحث الأول

موقع ليبيا الجغرافي إبان بدايات هجرة القبائل العربية

يعد موقع ليبيا الجغرافي حلقة وسط (برقة – طرابلس - فزان) حيث إنه يتوسط الغرب الإسلامي بالشرق العربي، فكانت حدودها خلال النصف الثاني للقرن الرابع الهجري – النصف الثاني للقرن السادس الهجري. مقسمه إلى ثلاثة أقاليم، فنجد أن إقليم طرابلس امتداده من سرت شرقاً إلى قابس غرباً والبحر المتوسط شمالاً إلى جبل نفوسة في الجنوب الغربي. أما إقليم برقة فشماله البحر المتوسط، وغربه حد طرابلس أي عند سرت وهضبه السلوم في الشرق. في حين كان إقليم فزان يمثل الحد الجنوبي لليبيا؛ حتى الصحراء الكبرى(مصطفى، 2006م، ص20.).

المطلب الأول

بدايات دخول اللغة العربية إلى ليبيا

ركز الفاتحون العرب في النهوض باللغة العربية ونشر تعاليم الدين الإسلامي. كما فعل عقبة بن نافع 22-49هـ/642-669م عندما ترك خلفه مجموعة لتعليم اللغة العربية في إحدى مناطق المغرب الأقصى(عبدالحليم، د.ت، ص220.)، وأيضًا حسان بن النعمان (77-86هـ/704-701م) وموسى بن نصير اللذان أرسلا إلى القبائل التي أعلنت إسلامها مجموعة من الدعاة لنشر تعاليم الإسلام واللغة العربية بين أبنائها(المراكشي، 1967م، ج1، ص42). وتميزت تلك المرحلة بما يأتي:

1- إتمام فتح المغرب وهو ما انهك الدولة الإسلامية، وكلفها من أموالها ووقتها الكثير، وقد تم هذا الفتح حوالي عام 81 أو 82هـ.

2- حكم حسان بن النعمان الذي امتد من عام 77هـ/ 701م إلى عام 86هـ/ 704م.

وتميز فترة حكمه بمساواته في العطاء والرتب والمعاملة بين البربر والعرب. كما تم تشييد المساجد في المدن والقرى، وإقامة الفقهاء فيها للصلاة، وقراءة القرآن، والوعظ والإرشاد، والفتوى في مسائل الدين.

أمر الخليفة عبدالملك ابن مروان (685-705م)، اتخاذ اللغة العربية لغة كتابه الرسمية في دواوين الحكومة في الولايات الإسلامية جميعاً، وكان ذلك مواكباً لحركة التعريب في ليبيا(العزاوي، 2011م، ص43).

وقد أيد الخليفة عمر بن عبدالعزيز (99-101هـ/717-719م) هذا المبدأ فارسل بعثة دينية من عشرة فقهاء إلى ليبيا والقيروان لتعليم صغار الطلبة مبادئ اللغة العربية، وتحفيظ القرآن الكريم، وهذه المرحلة تسمى بالمرحلة الإعدادية(القيرواني، 1414هـ، ص24؛ محمود، 1963م، ص52؛ ابن الجوزي، 1985م، ص121-107؛ التهامي، 2005م، ص32.).

والجدير بالذكر أن الاختلاط بين العرب الفاتحين وأهل البلاد المفتوحة أدى إلى نشأة لغة تعامل يتواصل بها هؤلاء وأولئك انحرفت - قليلاً - عن اللغة العربية الفصحى، التي حملها العرب المسلمون إلى البلاد المفتوحة،

وقد بدأت هذه اللغة تشيع على الألسنة منذ أوائل القرن الثاني للهجرة في ليبيا، كانت مزيجاً من العربية والبربرية واللاتينية، خالية من علامات الإعراب، وقد قل استخدام تلك اللغة في منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي بتأثير الهجرة الكبيرة لبني سليم وهلال - في منتصف القرن الخامس الهجري - الذين ساهموا بدور مؤثر في تعريب البربر وغيرهم من سكان المغرب. (ابن خلدون، 1959م، ص 32).

المطلب الثاني

دور الهجرات العربية في نشر اللغة العربية

ساهمت الموجة الأولى من هجرات القبائل العربية إلى ليبيا خلال القرون الأربعة الأولى دوراً مهماً في التمهيد لنشر اللغة العربيَّة والإسلام في بلاد المغرب إلى أن جاءت الهجرة الثانية التي أدت دوراً حاسماً في تعريب ليبيا في القرن الخامس الهجري، وقد استخدم ابن خلدون مصطلح عرب الفتح للإشارة إلى الموجة الأولى من العرب الذين دخلوا ليبيا وبلاد المغرب عامة، وبَدَؤُوا عملية التعريب. (ابن خلدون، 1959م، ص 32).

ظلت هجرة القبائل العربية مستمرة لليبيا منذ القرن الأول حتى القرن الخامس للهجرة، فخلال هذه الفترة 394هـ/1003م استقرت بعض بطون قبائل بني هلال في برقة ومنها: بنو قرة وبنو بعجة ولخم وصدف وغيرهم من أهل اليمن وسكنوا برقة. أما قبائل غسان وجذام والأزد وتجيب وغيرهم فسكنوا الجبل الغربي لها، إضافة إلى قبائل أخرى في طرابلس لم يحدد لنا أسماء قبائلها، كما سكنت قبائل عربية أخرى في منطقة زويلة التي هاجرت من بلاد خراسان والبصرة والكوفة التي وفدت قبل الهجرة الكبيرة لبني هلال وسليم. (المراكشي، 1967م، ص307؛ اليعقوبي: 1957م، ص96، 98، 99).

ولقد كان تتابع تلك الهجرات نتيجة لأسباب اقتصادية وسياسية ودينية، كما كانت حركات الهجرة تتزايد مع تنصيب والٍ أو أميرٍ جديد يصاحبه عادة هجرة عدد كبير من أبناء قبيلته يصل إلى الآلاف منهم. أشار اليعقوبي إلى أن النسيج السكاني تأثر بهجرة هؤلاء العرب الذين كانوا جنودا مرابطين، حيث خلفوا أعقاباً لهم في تلك المناطق. (اليعقوبي، 1957م، ص347-342).

تفاصيل تلك الهجرات وملابساتها وما تلاها من أحداث موضوع طويلة لا يتسع المجال للإحاطة به كما أن ذلك ليس من هدفنا هنا. وهناك تفصيلات أخرى تهمنا في هذا المقام؛ لأنها مرتبطة بحركة التعريب وتوطين القبائل العربية وهي:

1- يقدر بعض المؤرخين عدد المهجرين في هذه الموجة بما يتراوح بين 200 ألف و300 ألف، وبعضهم يرتفع بالرقم حتى المليون. (حركات، 1965م، ص283).

2- بعد هجرة بني سليم وهلال واستقرارهم في ليبيا وبلاد المغرب تبعتهم هجرات أخرى جاءت بطوائف كثيرة من الناس.

3- لم يؤسس العرب ملكا ولا دولة وآثروا الضواحي والأرياف على الأمصار.

4- استيطان تلك القبائل في إقليم برقة كان سهلاً؛ لأن المعز لدين الله كان قد سبق وأباد «زناتة»، ولذلك حينما جاء العرب إليها وجدوا بلاداً كثيرة المرعى خالية من الأهل. (ابن الأثير، 1980م، ص 55).

5- كذلك من المرجح أن تكون بعض من بني هلال قد اجتاز النهر ودخل ليبيا مع أحد الجيوش التأديبية التي أرسلت قبل هجرة بني الهلال؛ لأن المراجع التاريخية تحدثت عن وجود هلالي في وقت مبكر. (المراكشي، 1967م، ص307).

6- بعد حلول القبائل العربية؛ هاجرت بنو قرة ثم بطون من كعب إلى مناطق أخرى، وغلبت على أنحاء برقة بنو سليم؛ ولعل هؤلاء المهاجرين هم الذين قال عنهم ابن عذاري في عام 468هـ/1076م؛ وصلت إلى إفريقية مجموعة أخرى من عرب برقة ونزلت حول القيروان. (التجاني:1981م، ص18- 20).

استقرت تلك القبائل العربية داخل الأراضي الليبية. ففي عام 549هـ/ 1154م استقرت قبيلتا ناصرة وعميرة بين قصر العطش وإقليم برقة. أما قبيلة رواحة فاستوطنت منطقة طلميثة (أي المنطقة التي حول بنغازي اليوم). واستقرت قبيلة بنوهيب في منطقة «مرسى لك» (شرق مدينة طبرق بحوالي 100كم)، فضلاً عن استقرار فروع أخرى من قبيلتي رواحة وبني هيب في المنطقة الواقعة من العقبة الصغرى إلى سرت مجالات. كما سكن بنو أحمد أرض المرج وطلميثة ودرنة وأجدابيا.(الإدريسي، د.ت ص53-51؛ ابن خلدون: 1959م، ج6، ص 31 – 143).

كما أشار الرحالة القلقشندي لمكان استقرار قبيلة بني صبيح (إحدى بطون بني فزارة) في الطرف الغربي لمدينة بنغازي. (القلقشندي، 1982م، ص 113؛ ابن خلدون: ص9، 72، 73؛ المقريزي: 1970م، ص101-88؛ حسن حسنى عبدالوهاب، 1972م، ص106-71).

وفي عام 550هـ/1165م استقرت في منطقة تاجورة مجموعة من عرب (تميم)، وكانت قبيلة هوارة وهي أكبر قبائل البربر تشغل ما بين تاورغة إلى صبراتة (بازامة، 1975م، ص 95-93.). واستقرت في منطقة ما بين طرابلس وقابس قبائل بني سليمان وفرع من قزازة والجواري وبنو شاح بن عامر فرع من بنى سليم. فيما استقرت قبائل بني عوف ما بين طرابلس وسرت إلى جوار قبيلة دياب(إحسان، 1967م، ص143). وفي القرن السادس الهجري استقرت فروع من قبائل بني سليم في مناطق فزان(الإدريسي، د.ت، ص 56-53).

كما أن العرب لم يكتفوا بسكنى الأودية الواطئة بل جاورةا البربر في مناطقهم، ومقر سكناهم في جبالهم ومعاقلهم وأماكنهم النائية؛ مما كان له أكبر الأثر في تعلمهم اللغة العربية رغم احتفاظهم بلهجاتهم البربرية (جوليان: 1978م، ص97، 98). والأمثلة على ذلك كثيرة نكتفى منها بالمثالين الآتيين:

1-قبيلة الزنتان التي سكنت «تاغرمين» الواقعة في جبل نفوسة، ويرجع الزنتان في أصولهم العربية إلى قبيلة «الدواسر» إحدى قبائل نجد الكبرى.

2- قبائل بني رياح والحطمان والمقارحة وناصرة: التي استقرت بواحات فزان جنوبي طرابلس مواطن البربر القديمة.

بانتهاء تلك الفترة كانت اللغة العربية قد صارت لغة عامة مشتركة بين سكان ليبيا، وصارت لغة التخاطب في جميع أنحاء البلاد، أما وحدها في معظم المناطق أو مع البربرية في بعض المدن أو القرى التي تزخر بتجمعات بربرية مثل: (مدن وقرى نفوسة - مدينة زوارة - واحة أوجلة) (ممدوح ، 1982م، ص 79-76). إن تلك القبائل العربية المهاجرة تغلغلت في ليبيا ونزلت في كل مكان تتوافر فيه مقومات الحياة.

كما ساعد موقع ليبيا كونه عاملاً مهما في انتشار اللغة العربية بجميع مناطقها. فكانت من أهم البلدان التي يمر من خلالها كثير من العلماء والفقهاء. ففي عام 688هـ/1289م مر العبدري الرحالة المغربي عبر أراضيها الذي أشار إلى فصاحة سكان برقة الذين مر بأحيائهم في رحلته للحج قائلاً: «كلام عرب بَرْقَة من أفصح كلامٍ عَرَبِيّ سمعنا. (الحيحي، 1998م، ص 79- 91).

وأيد الرحالة الحشائشي ما أورده الرحالة العبدري عن فصاحة أهل برقة؛ حيث قال: «أما لغتهم فهي اللغة العربية الصرفة»(الحشائشي: 1965م، ص42.).

وقال نقولا زيادة: إن الذي أتم لبرقة عروبتها هو مجيء بني هلال وبني سليم، وقد امتزج ما تبقي من البربر بهم، حتى صارت برقة عربية لا يزها في عروبتها بلد عربي باستثناء الجزيرة العربية(نقولا: 1950م، ص44، 45).

وأكده أحد الباحثين الفرنسيين الذي ذهب إلى أن التعريب حصل على دفعة قوية مع هجرة بني سليم وبني هلال الذين لعبوا دوراً كبيراً في ترسيخ جذور اللغة العربية في ليبيا. بمعنى أن هذه الهجرة لو لم تقع لما كانت ليبيا تعرب بهذا الشكل.

وأن استقرار قبيلتي بني قرة وهيب وهم بطون من سليم في برقة، جعلهم يمتزجون بأهلها امتزاجا يجعل من الصعب علينا الآن أن نميز بين ذريتهم وذرية أهل البلاد الأصليين. ناهيك عن تزاوجهم واختلاطهم معهم في السهول والهضاب؛ الأمر الذي أدى إلى نجاح عملية التعريب فصار الجميع عربا باللسان، فيما عدا قلة من البربر نجحوا في الاحتفاظ بنقاوة جنسهم لسكناهم المرتفعات(الأنصاري: 1988م، ص115).

وصور لنا ابن خلدون (ت808هـ/1406م) هذا الامتزاج قائلاً عن قبيلة هوَّارة البربرية: «إنهم صاروا في عداد الناجعة (الرعاة) في اللغة العربية والزي وسُكْنَى الخيام وركوب الخيل والإبل وممارسة الحروب، وإيلاف الرحلتين في الشتاء والصيف في تلالهم، وقد نسوا رطانة البربر واستبدلوا بها فصاحة العرب فلا يكاد يفرق بينهم». كما قال في موضع آخر عن هوَّارة: «إنهم عاشوا حياة البدو مع العرب ونسَوا رطانة العجم وتكلموا بلغات العرب». كما قال أيضاً: أن هوَّارة لم تتعرَّب وحدها بل تعرَّبت قبائل البربر في ليبيا والمغرب». (ابن خلدون: 1959م، ص 103).

على الرغم من ذلك فإننانجد ابن خلدون يحدثنا أيضاً عن اللحن الذي شاع على ألسنة العرب من شعراء بني هلال وسليم في القرن السابع الهجري، ويسميهم بالقوَّالين، وأشار إلى ذلك في فصل خاص بأشعار العرب وأهل الأمصار(ابن خلدون: 1959م، ص 107).

كما ذكر أن ألفاظ العرب ظلت تستخدم كما هي دون تغيير، وفي أساليب اللسان وفنونه في النظم والنشر التي استخدمت في مخاطباتهم كما تواجد فيهم الخطيب المفوه. (ابن خلدون: 1959م، ص488، 489).

وقد سهل الهلاليون نشر الإسلام بتعريب البربر ومكنوهم من تحصيل ثقافة إسلامية أكمل من تلك التي كانت لديهم، التي لم يكن في وسعهم أن ينموها وهم يجهلون اللغة العربية، وكان من طبيعة مثل هذه الهجرات أن تحدث تغييراً جذرياً في البنية التركيبية العرقية للسكان المحليين، إذ أمدتهم تلك الهجرات بالعنصر العربي الذي انصهر شيئا فشيئا في العنصر البربري- ولذا فقد عدّ بعضهم أن هجرة بني هلال أهم حدث عرفته بلاد المغرب - أثناء القرون الوسطى، فهي التي أثرت أكثر من الفتح الإسلامي تأثيرا طبع المغرب بطابع لم تمحه القرون. (ألفرد بل، 1982م، ص214).

لقد بذل العرب جهد كبيراً للاستقرار وهو ما ساعدهم في تعريب البلد ونشر الإسلام. وقد أدت عمليات التعريب ونشر الإسلام إلى نتائج اقتصادية مهمة كانت لها أثرها في دعم اللغة العربية ورفع شأنها في ليبيا. (المختار، 1971م، ص44). وكان من أهم الخطوات التنفيذية التي اتخذها العرب، التي قوت جانبي الإسلام واللغة العربية في ليبيا ما يأتي:

1- إقرار اللغة العربية في الدواوين وفي المكاتبات الرسمية. (العزاوي، 2011م، ص 43).

2- تهجير عديد من القبائل العربية إلى ليبيا بخاصة والمغرب بعامة بقصد الإقامة الدائمة.

2- أن اللغة العربية ذات تاريخ وأدب وثقافة؛ خصبة المفردات، جميلة الجرس.

3- عدم قدرة اللغات البربرية التي تفتقر إلى أي لون من ألوان الفكر والحضارة على منافسة اللغة العربية، بدليل أن المترجمين حين بدأت حركة الترجمة من الأجنبية إلى العربية لم يجدوا ما يترجموه عن تلك اللغات إلى اللغة العربية.

4- بساطة اللغة العربية وعمقها وقدرتها على الوفاء بحاجات العصر والبيئة(المختار، 1971م، ص 70).

ونتيجة لذلك التأثير العربية على البربرية نلاحظ الآتي:

1 - لقد تعربت اللغة البربرية - كما تعرب البربر أنفسهم - نتيجة لاتصالها باللغة العربية، حتى صار نحو ثلث اللغة البربرية تتألف من كلمات عربية وأمر طريف مثل هذا يثبت لنا مرة الأخرى مقدار تأثير العرب العظيم الذي لم يكتب مثله لأية أمة أخرى.

2- أن معظم المؤلفات التي ألفها علماء من البربر قد كتبت باللغة العربية مثل الإيضاح، للشيخ عامر الشماخي، وقناطر الخيرات للشيخ إسماعيل الجيطالي، والقواعد في الشريعة الإسلامية للمؤلف السابق، والوضع لأبي زكرياء، والسير للشماخي، والطبقات للدرجيني، وسير الأئمة لأبي زكرياء، ومدونة ابن غانم في الحديث. وقد فشلت المحاولات التي بذلها بعضهم لجعل البربرية منافسة للعربية في مجال التأليف فنظموا بها الشعر، وترجموا إليها الكتب والدواوين، حتى أنهم نقلوا القرآن إليها. ولكنها - على حد تعبير الاستاذ عثمان الكعاك - كانت كأعمال من يبني صروح

الورق فوق السافيات الذاريات فلم تمض عليها عشية أو ضحاها حتى هوت أركانها وانطمست آثارها. (الكعاك، 1985م، ص 86-65).

المبحث الثاني

العلماء الذين أسهموا في النهوض باللغة العربية بليبيا

ذكر التيجاني في رحلته واحداً من أهم المشتغلين بعلوم اللغة والنثر الأدبي بليبيا: أبي أسحاق الأجدابي الذي كانت له مؤلفات في هذا المجال على رأسها كتابه «كفاية المتحفظ» و«نهاية المتلفظ». (التجاني:1981م، ص262). كما وجدت شخصيات أخرى بعده كان همها بالدرجة الأولى خدمة الأدب والشعر واللفظ وعلى رأسهم: أبو عبيدة الأعرج عالماً باللغة والفقه وهو من علماء الإباضية، توفي عام 241هـ/792م (المختار، 1971م، ص 75-70)، والأخوان إبراهيم المهري وأبو الوليد عبد الملك المهري، وكلاهما نحوي لغوي، وكان الثاني شيخ أهل العربية واللغة والنحو والرواية ورئيسهم والمقدم في عهده وزمانه، وكان أحفظ الناس لكلام العرب وأشعارها ووقائعها وأيامها، وقد ترك مؤلفات منها: (تفسير المغازي للواقدي- كتب في الألفاظ - كتاب في اشتقاق الأسماء). (الزبيدي: 1954م، ص249، 250.)

كذلك الشيخ علي بن أبي الحسن البرقي، كان مهتماً بعلم النحو الذي مات في ربيع الأول عام 522هـ/1128م (الزاوي: 1961م، ص 212)، والشيخ يوسف بن علي الجعراني المسلاتي، من علماء القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، كان إماماً في علوم القرآن، ومقدماً في علوم اللسان، وله قصائد أنيقة وعدة تواليف منها: «القرطبية» و«شرح الأجرومية ونظمها»، ودفن بمنطقة مسلاته. (الانصاري: 1988م، ص177، 178).

وأبو يوسف يعقوب بن أحمد بن موسى، ولد وتعلم بمدينة يفرن، كان مهتماً بعلم النحو والبيان والمنطق، توفي في (امسين) إحدى قرى جبل نفوسة عام 894هـ/1450م. (الشماخي، د.ت، ص563، 565.) ومحمد بن صدقة المرادي النحوي الأطرابلسي الإفريقي الذي وضعه الزبيدي في الطبقة الثانية من النحاة واللغويين القرويني، وقال عنه هو والقفطي: كان عالماً باللغة شاعراً متقعراً في كلامه. (الزبيدي: 1954م، ص 253، 254؛ القفطي: 1950م، ص 77-71).

المطلب الأول

دور المساجد في نشر اللغة العربية

رافقت حركة الفتوحات الاسلامية بناء عدد كبير من المساجد في ليبيا، وفي مقدمتها مسجد الجدود (مسجد البارزي لاحقا) بطرابلس، الذي كان سكنى المعلم والشيخ عثمان بن سعيد بن خلفونا لحشاني المعروف بالمستجاب (ت362هـ/972م) لنسكه وكثرة علمه وكان يعقد ابن خلفون حلقات درسه فيه إلى جانب الشيخ أبي محمد بن أبي زيد وكان ممن يحضرون دروس ابن خلفون. فمسجد سيقاطة يعد من أهم المساجد سكنها الفقيه أبو الحسن السيقاطي

(ت420هـ/1029م). (مصطفى، 2013م، ص171-169.)

كذلك شيد بجبل نفوسة عدد من المساجد التي أسهمت في نشر العلم ومن بينها مسجد أبى عبدالله عبدالحميد الجناوني الذي اجتمع به سبعون عالماً من علماء نفوسة لاتساعه في وقت واحد، ومسجد سعد بن يونس في منطقة تمصمص ومسجد أبى محمد خصيب. (الدالي: د.ت، ص161، 162).

كما ذكر الرحالة التيجاني بعض الزوايا التي شاهدها وهو في طريقه إلى طرابلس إذ أشار إلى زاوية أولاد سهيل بالزاوية وقال أن بها كتباً كثيرة محبسة دون أن يوضح لنا نوع تلك الكتب. كما شاهد زوايا أخرى بالزاوية وهي زاوية أولاد سنان وقال إنها أكبر من الزاوية أولاد سهيل. (التجاني:1981م، ص214-212).

هذا بالإضافة إلى الرباط التي ازدهرت مناراتٍ علميةً تربى فيها العديد من علماء الدين. ففي الفترة الواقعة بين زمن البكري في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي إلى زيارة الرحالة التيجاني خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي تم ذكر العديد من الربطات التي سكنها العُباد المشتغلون في تعلم علوم الدين كحفظ القرآن وعلوم الحديث والفقه واللغة العربية. (التجاني:1981م، ص253-250؛ المزيني، 1994م، ص270).

المطلب الثاني

المدارس في ليبيا ونشر اللغة العربية

بعد أن شهد القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي انتعاشاً ثقافياً محدوداً يكاد ينحصر في منطقتي طرابلس وجبل نفوسة بعد الخمول الثقافي الذي حل بالبلاد نتيجة الفتن والقلاقل التي أحدثها ابن غانية وقراقوش التقوى، فقد أنشئت بعض المدارس في هاتين المنطقتين وبدأنا نسمع عن دورها، ففي طرابلس تحدث الرحالة التيجاني أن بداخلها مدارس متعددة وأن المدرسة المنتصرية كانت أحسنها التي قام بإنشائها الشيخ أبو محمد عبدالحميد بن أبي الدنيا؛ فيما بين سنتي 658-655 هـ/1259-1257م. (التجاني:1981م، ص251، 252).

وقد زار تلك المدرسة الرحالة ابن رشيد السبتي الذي قام برحلته عام 685هـ/1286م - أثناء عودته إلى بلاده – وأن لم يسمها بالاسم، إلا أنه وصفها بأنها تقع في أكبر شوارع المدينة، وتتوسط مجموعة من الحدائق وبوسطها روضة أينعت أزهارها بسبب الاهتمام بها. (الفهري، 1982م، ص6.)

أما الرحالة العبدري الذي زار طرابلس بعده عام 688هـ/1289م وهو في طريقة لإداء فريضة الحج، فقد أشاد بالناحية الثقافة في طرابلس وامتداح مدرستها وجامعها. (العبدري، 1998م، ص77.)

هذا وتعد تلك المدرسة في فترة القرن السابع والثامن الهجريين/ الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين من أحسن مدارس طرابلس وفي فترة القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي ظهرت مدرسة أخرى هي مدرسة ابن ثابت التي أقام فيها الشيخ أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي أثناء زيارته لطرابلس عام 851هـ/1447م وذكر بأنها مدرسة علمية متقدمة. (القلصادي، 1985م، ص124)

وذكر الشماخي أن عمر بن تمكتن اللواتي أسس أول مدرسة لتعليم اللغة العربية وتحفيظ القرآن وتعريف الناس بدينهم بمنطقة أفاطمان الواقعة بين الرحيبات والرجبان خلال النصف الأول من القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي وبمجهوده الخاص، وكانت تلك المدرسة تعد نواة الحركة العلمية والفكرية لنشر اللغة العربية في جبل نفوسة. (الشماخي، د.ت، ص ص 142، 143)

ولعل أعظم مدارس الجبل هي مدرسة محمد بن يانس. وهو من مشائخ القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وقد امتد إشعاع هذه المدرسة في نشرها للغة العربية حتى نهاية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، وتكونت لها مجموعة من الفروع في مختلف القرى. (معمر: 1964م، ص65.)

كما اسست في منطقة فزان عدة مدارس أشهرها مدرسة عبدالله بن إبراهيم الناعمي، والملقب بابي رشادة في أوائل النصف الثاني من القرن التاسع الهجري ما بين سنة 850-860هـ/1446-1455م، وقد كان تولى التدريس والاهتمام بها بنفسه، وبعد وفاته انتقلت الدراسة منها إلى المدرسة التي أسسها ابنه محمد الحضيري التي ألحقها بالمسجد العتيق بالمنطقة، نفسها؛ هذه المدرسة التي نالت شهرة واسعة في المنطقة الجنوبية وكان لها دور بارز في نشر تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي. (الحضيري، د.ت، ص 176.)

كما كانت المناطق الليبية ملتقى لأهل العلم الزائرين الذين يمرون بليبيا لأغراض مختلفة، قد تكون تبادل الأفكار والمعلومات، وقد تكون الذهاب إلى الحج من بلاد المغرب، أو العودة منه، وقد تكون تولي أحد المناصب في ليبيا أو غيرها، ومن هؤلاء الأساتذة:

أ- محمد بن عيسى البياني الذي مر بطرابلس وبرقة عامي332هـ/ 945م و338هـ/951م فكتب عنه الطلاب. (إحسان، 1967، ص 106)

ب-الفقيه أبو العباس الأعجمي الذي ورد من المشرق على مدينة طرابلس عام 662هـ/1263م قاصداً بلاد المغرب. (التجاني، 1981م، ص257، 261.)

االخاتمة

- إن تعريب بلاد المغرب تحقق نتيجة تضافر عدة عوامل، لكن يبقى العامل الحاسم والرسمي هو اقتناع السكان الأصليين بأن العربية ضرورية لفهم الإسلام والإبداع من داخل الحضارة العربية الإسلامية، بحيث تحول هذا الاقتناع إلى شعور عام، لم تستطع اقتلاعه الجهود التي بذلت في فترة الاستعمار.

- إن دخول اللغة العربية وانتشارها بتلك السرعة في ليبيا، يدل على تأثر السكان المحليين وحاجتهم لكسب لغة أكثر ثراء في التعامل والاستخدام.

-إن قوة انتشار اللغة العربية في المناطق الليبية البربرية، تدل على تغلغل العرب في أرجاء ليبيا وشمال إفريقية وبسطهم لثقافتهم العربية في تلك المنطقة.

- إن القول بأن تعريب مناطق الشمال الإفريقي جاء نتيجة قرار سياسي من الخلافة الإسلامية مفصول عن الواقع الاجتماعي والثقافي لبلاد المغرب والمراد منه طمس وتشويه الهوية البربرية ومرتكزها الأساسي اللغة الأمازيغية. ولكن من خلال ما ورد ببحثنا نستطيع نفي ذلك وإثبات أن قضية التعريب قضية تم حسمها تاريخيًّا وتنسجم مع المعطى التاريخي الثقافي للمنطقة، وأن اللغة العربية ارتضاها أهل المغرب العربي منذ الفتوحات والهجرات لتكون لغة الثقافة العامة بدون منازع.

- من جهة أخرى فإن انتشار اللغة العربية أسهم من ناحية أخرى في توسع النفوذ العربية بليبيا وشمال إفريقية.

- وجود ذلك الكم الكبير من علماء اللغة العرب، إنما يدل على تقبل تلك البلاد للعرب الفاتحين، وهو ما يظهر سماحة المهاجرين العرب.

- إن تزاوج العرقين العربي والبربري وامتزاجهما، دليل على تقبل أصحاب تلك المناطق للعرب، كما أنه دليل على أنهم قبائل منفتحة وليست منغلقة على نفسها، وهو ما أسهم بانتشار اللغة العربية بسرعة.

- انتشار اللغة العربية وتمكن أهل البلاد من تلك اللغة، واستبدالهم لغاتهم البربرية باللغة العربية في ليبيا، يدل على أن العرب لم يدخلوا تلك البلاد بحد السيف، ولم يسفكوا دماء أهلها، بل فتحوها بالحسنى رافعين راية الإسلام.

- إن استقرار العرب بليبيا ونشرهم للغة والثقافة العربية وتزاوجهم مع أهل البلاد الأصليين، قد حول ليبيا بالتدريج إلى دولة عربية أصيلة، ذات جذور وعروق عربية تمتد إلى الجزيرة العربية.

- يمكن القول بأن الهجرات العربية إلى المغرب العربي أو شمال إفريقية، قد أدخلت الإسلام ورسّخته في تلك المنطقة بما فيها ليبيا التي خرج منها أئمة الدين وأدباء وشعراء مفوهون.

- كان للهجرة الهلالية بالتحديد أكبر الأثر في ترسيخ اللغة العربية في ليبيا، وهو ما تجلى في النهضة الأدبية التي تجلت في تلك الحقبة.

- إن اندماج العرق العربي وانصهاره في ليبيا مع العرق البربري من خلال الهجرات العربية، جعل أهل تلك البلاد

يفتخرون ويتغنون بملاحم (السيرة الهلالية)، التي ما زالت تروى حتى هذه الأيام على أنها جزء من تراث بلادهم الثقافي.

قائمة المصادروالمراجع:

أولاً: المصادر:

- ابن الأثير، محمد بن محمد بن عبدالكريم (630هـ/1232م)، (1980م): الكامل في التاريخ، جـ1، 7، 8، 9، بيروت.

- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت808هـ/1406م)، (1959م): كتاب العبر، المجلدان 4، 6، بيروت.

- ابن رشيد السبتي: أبو عبدالله محمد بن عمر الفهري (721هـ/1132م) (1982م) ملء الغيبة لما جمع بطول الغيبة، ج2، تحقيق: محمد حبيب الخرجة، تونس .

- التجاني: أبو محمد عبدالله بن محمد بن أحمد التجاني (ت717هـ/1328م) (1981م) رحلة التجاني، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس.

- الحشائشي: محمد بن عثمان: (1965م) رحلة الحشائشي إلى ليبيا، تقديم: علي مصطفى المصراتي، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت.

- الإدريسي: أبو عبدالله محمد بن عبدالله، (د.ت)، (ت 558هـ/1162م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الجزائر.

- الشماخي: أحمد بن سعيد عبدالواحد، (د.ت) (928هـ/1521م) السير، طبعة حجرية.

- العبدري: أبو عبدالله محمد بن محمد الحيحي، (1998م) رحلة العبدري، حققها: محمد الفاسي، الرباط.

- القلصادي: أبو الحسن علي الأندلسي (ت891هـ/1486م)، (1985م) رحلة القلصادي، تحقيق: محمد أبو الأجفان، تونس.

- القلقشندي: أحمد بن علي أبو العباس، قلائد الجمان في معرفة قبائل عرب الزمان، حققه وقدم له ووضع فهارسه: إبراهيم الأبياري، ط2 (بيروت: دار الكتاب اللبناني- مكتبة المدرسة، 1402 هـ/1982).

- القفطي: (توفي في القرن السابع الهجري) أنباء الرواة على أنباه النحاة، جزءان، دار الكتب المصرية، ج1، 1369هـ/1950م.

- المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي، (ت 845هـ/1406م)، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة 1970م.

- المراكشي: أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري، (ت بعد 712هـ/1323م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، دار الثقافة للطباعة والنشر (بيروت ج1– 1967م).

- الأنصاري: أحمد النائب: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، مكتبة الفرجاني، طرابلس – ليبيا، 1988م.

- اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت 284هـ/897م) البلدان، المطبعة الحيدرية، النجف 1957م.

ثانياً: المراجع العربية والمعربة:

- إبراهيم، التهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة، مؤسسة الرسالة، لبنان: بيروت 2005م.

-ابن الجوزي، سيرة ومناقب عمر ابن عبدالعزيز الخليفة الزاهد، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1985م.

- بازامة، محمد مصطفى ، ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، منشورات مكتبة قورينا، بنغازي، ط2، 1975م.

- جاد المولي، محمد أحمد ، أيام العرب في الجاهلية، دار إحياء الكتب العربية 1942م.

- الحضيري، أبوبكر عثمان ، فزان ومراكزها الحضارية عبر العصور، دار المحيط العربي – بيروت (بدون تاريخ).

- جوليان، شارل أندري: تاريخ شمال إفريقية، ج2، تعريب: محمد مزالي والبشير بن سلامة، تونس 1978م.

- حركات، إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، (الدار البيضاء 1965م).

- الدالي، الهادي المبروك، مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا من القرن 15-13 صفحات من تاريخ العلاقات العربية الافريقية، تقديم: محمد زروق، دار الملتقي للطباعة والنشر، (ب.ت).

- الزاوي، الطاهر أحمد: أعلام ليبيا، مكتبة الفرجاني، طرابلس - ليبيا 1961م.

- ـ: معجم البلدان الليبية، مكتبة النور: طرابلس – ليبيا، 1968م.

- زيادة، نقولا: يرقة الدولة الثامنة، دار العلم للملايين، بيروت، 1950م.

- السباعى، صالح صادق: ليبيا أثناء العهد الموحدي والدولة الحفصية (10-6هـ/16-12م)، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2006م.

- السعيطي، مصطفى، مدينة من مدن الشمس «اجدابيا» تاريخها وأعلامها، ج2، دار البيان، بنغازي، 2009م.

- الزبيدي: طبقات اللغويين والنحويين، ط1، القاهرة 1373هـ/1954م.

- عباس، إحسان، تاريخ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري، بنغازي، 1967م.

- عمر، أحمد المختار، النشاط الثقافي في ليبيا حتى بداية العصر التركي، بنغازي، 1971م.

- عبدالوهاب، حسن حسنى، ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية، القسم الثالث، إشراف محمد العروسي المطوي، تونس 1972م.

- العزاوي، عبد عبدالرحمن حسين، المغرب العربي في العصر الإسلامي، دار الخليج للنشر والتوزيع، 2011م.

- القيرواني، الرقيق، تاريخ إفريقيا والمغرب، تحقيق: محمد عزب، دار الفرجاني، طرابلس، ليبيا، 1414 هـ.

- الكعاك، عثمان، مراكز الثقافة في المغرب منذ القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر، دار النهضة العربية، القاهرة، 1985م.

-ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، بيروت،

لبنان، 1982م.

- محمود، حسن أحمد، الإسلام والثقافة العربية بإفريقية، دار النهضة العربية، ج1، القاهرة، 1963م.

- المزيني، صالح مصطفى، ليبيا منذ الفتح حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، 1994م.

- معمر، علي يحي: الإباضية في موكب التاريخ، مكتبة وهبه، مصر، 1964م.

- النويري، شهاب الدين أحمد عبدالوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب والسفر الثاني، مطبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية للنشر، القاهرة، 1986م.

ثالثاً: المجلات العلمية:

- ابن عبدالحليم، نص جديد عن فتح العرب للمغرب، تحقيق: ليفي بروفنصال، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، العدد الثاني، السنة العاشرة، القاهرة.

رابعاً: الرسائل العلمية:

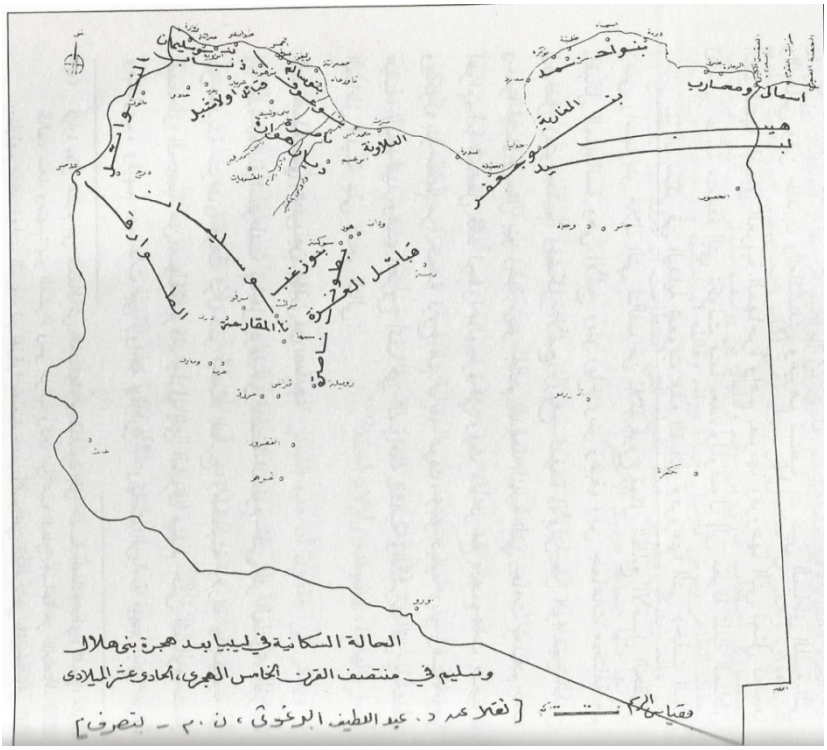
- مصطفى، حسين حسن، معاهدات الصلح بين المسلمين وأهالي مدن شمال إفريقية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة عمر المختار، البيضاء، 2006م.

- مصطفى، حسين حسن، برقة وطرابلس منذ انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر حتى نهاية عهد بني مطروح (361-580هـ/971-1184م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 2013م.

خامساً: الندوات والمؤتمرات:

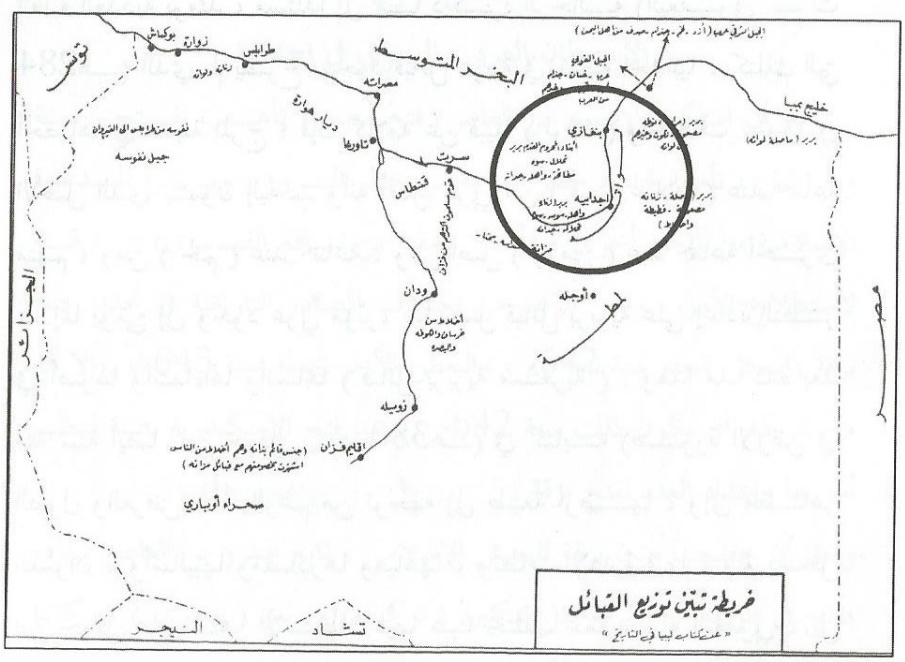
- حسين، ممدوح، العرب الهلالية في إفريقية ودورهم في الحروب الصليبية، أعمال المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ المغرب وحضارته، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس 1982م..

ملحق الخرائط



خريطة رقم (1) (تبين توزيع القبائل العربية في ليبيا خلال فترة الهجرات).

نقلاً عن: السبانى، صالح صادق: ليبيا أثناء العهد الموحدي والدولة الحفصية (10-6هـ/16-12م)، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2006م، ص365.



خريطة رقم (2) تبين توزيع القبائل العربية في ليبيا خلال فترة الهجرات.

نقلاً عن: مصطفى السعيطي، مدينة من مدن الشمس «أجدابيا» تاريخها وأعلامها، ج2، دار البيان، بنغازي، 2009م، ص 20.